MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 4-1-95
Photo No. : 214

السلام، ماذا نفعل به؟

ما يكفي من العلنية حتى لا تُتهم سوريا بأنها "اذعنت" للشروط الاسرائيلية، وما يكفي من الحميمية حتى ترتاح اسرائيل الى "الرغبة السورية في السلام". تلك هي اذاً المعادلة السحرية التي تجعل المسار السوري – الاسرائيلي ينتعش بعد سبات طويل. اذا اضفت الى ذلك "لباقة" شمعون بيريس في تهوين الامور امام الخصم من دون التغيير في الجوهر، وربما عدوى الدينامية الفلسطينية، ادركت ان المفاوضات الى تقدم، حتى لو بقيت مسألة "التخريجة" النهائية عالقة. قطعاً، ليس التساؤل عن استعداد الرئيس حافظ الاسد لقبول ما قبله سواه من مجالسة لرئيس الوزراء تفصيلياً. لكن طيب المناخ في مزرعة واي كفيل بالمساعدة على ايجاد حل لهذه العقبة.

كل المؤشرات، اذاً، ترشح سنة ١٩٩٦ لان تكون سنة اكتمال السلام. الرغبة السورية في الوصول الى تسوية لم تعد في حاجة الى اثبات، والرغبة الاسرائيلية في الانتهاء من هذا الملف ايضا. ماذا يقال بعد ذلك؟ لا شيء ربما، سوى الاساس: هذا السلام الذي يُعدّ لنا، والذي ننتظره، ماذا نفعل به؟ ألم يحن الوقت كي تترافق عملية التفاوض مع حملة تثقيفية على المستويين السوري واللبناني حتى تتهيأ النفوس لهذا التغيير الهائل الذي سيواجه الناس عندما سيرون (بعد استعادة كامل الحقوق العربية طبعا) علم اسرائيل فوق مبنى سفارتها في ابو رمانة والرملة البيضاء؟.

ليس المقصود بتهيئة النفس الاستعداد للخيانة (والخيانة اصلا سيعاد تحديد مفهومها متى تم التوقيع). المطلوب هو ما يمكن تسميته تدجين فكرة اسرائيل: فهي لن تعود عدوا بالتعريف الرسمي، فيما ستبقى مترابطة في الذهن، وهذا حسن، مع مفاهيم الاعتداء والهيمنة والعنصرية. فكيف ستتم الموازنة بين هاتين النزعتين في التعامل معها؟ ثم انه لا يجب الاستهانة بالخضّة التي سيشعر بها المواطنون في سوريا ولبنان عندما سيواجهون بهجوم النيّات الطيبة من جانب اسرائيل. فألف باء الدعاية السياسية، والاسرائيليون خبراء فيها كما يعلم الجميع، ستجعلهم يقدمون افضل وجوههم عند الاطلالة على جمهور عربي لا يتوقع الا صورة "الإسرائيلي البشع". فما العمل لتفكيك هذه الدعاية مسبقا، من دون التراجع عن "رغبة السلام" المطلوب اثبات صدقها خلال عملية التفاوض؟ أليس السبيل الوحيد الى ذلك فتح باب نقاش وطني كبير لا يتعرض لاسس التسوية كما تم تحديدها، انما يطاول مرحلة ما بعد التسوية: مكان اسرائيل في المشرق العربي، كيفية التعاطي مع نخبها، كيفية قراءة تلاوين السياسة الداخلية الاسرائيلية في ما يتصل بتقدم مسيرة السلام (اي شرعية التميز بين هذا التيار السياسي او ذلك، او لا شرعيته)، كيفية ربط اندماج اسرائيل الاقليمي بمقدار ملاءمتها نهوض المشروع الوطني الفلسطيني، الى ما هنالك من مواضيع تجتمع تحت عنوان عريض يمكن تحديده بـ "مواصلة الصراع العربي – الاسرائيلي في ظل العلاقات الرسمية السلمية والطبيعية".

غير ان فتح النقاش واسعا لا يعني ان يدلي بدلوه كل مَن يدّعي معرفة ما بالتلمود او بهذا النص المزيف الذي اسمه "بروتوكولات حكماء صهيون". فالشرط الاساسي، اذا شئنا ان يكون النقاش وسيلة الى تحصين المجتمعات العربية، هو ان يأتي ثمرة حملة تثقيف تتجاوز الكلام الدعائي، على اختلافه، وصولا الى تشكيل حلقات بحث، وربما معاهد، لمعرفة حقائق الدولة الاسرائيلية ومجتمعها.

وفي اي حال، لا يكفي على الاطلاق القول باننا نملك كل المعلومات اللازمة، ولا الادعاء باننا جهزنا كل الملفات. فاذا كانت المعلومات متوافرة فعلا، فلماذا لا تناقش في العلن، لعلنا نستنير؟!

سمير قصير